مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (7) العدد (3) سبتمبر 2023
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2023/09/27 ، تاريخ القبول: 2023/11/30، تاريخ النشر: 2023/12/04

منازل السعادة عند الغزالي

نورالدين عاشور الدوكالي

قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية، ليبيا

المستخلص:

جاءت السعادة مؤكدةً على التوازن الطبيعي للحياة المادية والروحية، كما أن فكرة السعادة تعد محورًا هامًا من محاور الفلسفة الأخلاقية لأنها تعبر عن مرارة الحياة التي يعيشها الإنسان في هذا الوقت، مع أنه قد واكب الركب الحضاري، وابتكر الأشياء العديدة التي تهتم برفاهيته، وسعادته، كما أن الغزالي يُطلق على السعادة مسميات عدة، فهي لذة وفرح، حيث إن سعادة كل شيء ولذته – بمقتضى طبعه وطبع كل شيء– ما خُلق له، وبناءً على ذلك فإن للسعادة منازل عدة، حيث إن إنسان اليوم مع هذا التقدم والرقي الحضاري المنقطع النظير كله نجد الإنسان مصابًا بالهموم والأحزان من كل جانب، وذلك ما جعلنا نتساءل: ما هي منازل السعادة عند الغزالي؟. وهل تكون السعادة صعبة المنال مع هذا الواقع؟ وكيف يمكن للإنسان أن يتدرج في منازل السعادة؟.

كما إن الغاية العليا للنفس الإنسانية هي السعادة الأخروية وهي بقاء بلا فناء، وهي من نعم الله على الإنسان.
أثبتت الدراسة أن موضوع السعادة من أهم الموضوعات المتصلة بالنفس الإنسانية وخصوصًا بعد ماحل بنا من ابتلاءات من عند الله ومن انفسنا وآخرها ما حصل في درنة الجريحة ولهذا اهتممنا بهذه الدراسة لإخراج الناس من حالة الحزن التي ألمت بهم.

إن الغزالي كغيره من فلاسفة الإسلام تكلم عن السعادتين الدنيوية والأخروية، واهتم بالسعادة في الحياة الأخروية أكثر، مع عدم إهمال السعادة الدنيوية على اعتبار أن الشريعة أوضحت السعادة الأخروية ومثلت لها خير تمثيل، وهذا هو الجانب الغامض الذي يتمثل في السعادة الروحية في الآخرة وجعلوها الأفضل، ولذا فعلى الإنسان أن يعمل لآخرته ليلقى السعادة التامة الدائمة التي لا همّ ولا غمّ فيها.

أثبتت هذه الدراسة أن السعادة هي ممارسة الفضائل، والتحلي بالأخلاق الفاضلة حيث إن أكرم الفضائل، وأحسن الشمائل، خُلق يتحلى الإنسان به ليعلو به عن مراتب الحيوان، ويحقق سعادته، ولكي نعيش سعداء لابد من أن نتعهد في أنفسنا الفضيلة.

الكلمات المفتاحية: الإفراط والتفريط، السعادة، اللذة، المجاهدة، الوسيلة، طرد الهم.

المقدمة:

تُعد السعادة من أرقى منازل الحياة وأمتعها، وهي الأمل الذي يسعى إليه كل إنسان. وللسعادة علاقة وثيقة بالنفس وبالأخلاق؛ لذلك فهي ترتبط بالإنسان ارتباطًا وثيقًا في حياته وبعد مماته، أي في تحديد مصيره أمام خالقه سبحانه وتعالى، فجاءت السعادة مؤكدةً على التوازن الطبيعي للحياة المادية والروحية، كما أن فكرة السعادة محورٌ هامٌ من محاور الفلسفة الأخلاقية، لأنها تعبر عن مرارة الحياة التي يعيشها الإنسان في هذا الوقت، مع أنه قد واكب الركب الحضاري، وابتكر الأشياء العديدة التي تهتم برفاهيته وسعادته.

مشكلة الدراسة: كما إن الغزالي يُطلق على السعادة مسميات عدة، فهي لذة وفرح، حيث إن سعادة كل شيء ولذته وراحته –بمقتضى طبعه وطبع كل شيء– ما خُلق له، فلذة العين في الصور الحسنة، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لأنه مخلوق لها، وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به...لأن لذة القلب المعرفة، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت السعادة أكبر، وبناءً على ذلك فإن للسعادة منازل عدة، حيث إن إنسان اليوم مع هذا التقدم والرقي الحضاري المنقطع النظير كله نجده مصابًا بالهموم والأحزان من كل جانب، وأنه يُحس بالشقاء والألم. مع زيادة متطلبات الحياة، وهذا ما جعله يبحث عن العديد من السعادات، وذلك ما جعلنا نتساءل ما هي منازل السعادة عند الغزالي؟ وهل تكون السعادة صعبة المنال مع هذا الواقع؟ وكيف يمكن للإنسان أن يتدرج في منازل السعادة؟.

أهداف الدراسة: إبراز عرض علمي تحليلي للموضوع إسهامًا مني في إثراء المكتبة العربية بدراسةٍ أكاديمية مستقلة، في فلسفة الأخلاق وفي موضوع السعادة بالأخص، والتركيز على مدى ريادة مفكري الإسلام في عرض الآراء والأفكار حول السعادة، والتعرف على منهجية الغزالي.

المنهجية المتبعة في الدراسة: إن طبيعة الموضوع تتطلب مني استخدام المنهج التحليلي المقارن، وبالإضافة إلى ذلك الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يؤدي إلى تحري الدقة العلمية في عرض الآراء، حتى نتمكن من الدخول إلى أعماق هذه الدراسة، والغوص في جزئياتها، وتحليل ما تشمله من آراء ومواقف، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية ما أمكن بغية تقديم بحث أكاديمي.

الإطار النظري للدراسة:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن أهم النتائج وأخيرًا فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تناولت فيه طبيعة السعادة وقسمته إلى:

1- طبيعة السعادة وغايتها. 2- علاقة الفلسفة بالأخلاق. 3- علاقة السعادة بالمعرفة. 4- الفضائل وأنواعها.

وفي المبحث الثاني: تناولت الخير وأنواعه:

1- الخير الأعظم وأنواعه. 2- حقيقة السعادة ومنازلها. 3- أنواع اللذات. 4- سُبل السعادة.

المبحث الثالث: العلاقة بين السعادة وطرد الهمّ في تفسير الفعل الأخلاقي.

*** المبحث الأول: طبيعة السعادة وغايتها:**

في هذا المبحث سوف نحاول الاقتراب من طبيعة السعادة، هل هي غاية أم وسيلة؟ وهل هي الخير الأسمى الذي يوصلنا للحقيقة؟ وفي ذلك نقول:

إن اللذة تُعد غاية للطبيعة الإنسانية، والخير غاية بالنسبة للإرادة، و«الحقيقة غاية بالنسبة للعقل، وبذلك فالسعادة هي غاية عامة للإنسانية كلها» (نازلي إسماعيل، 1978م، 67)، فالسعادة من أرقى منازل الحياة وأمتعها، وهي الأمل الذي يسوق كل إنسان إلى جهة الخير، أو جهة الشر، حسبما يرى سعادته، ولذلك يجب علينا أن نمهد طريقنا إليها، ونحوط أنفسنا بالأجواء الملائمة لها حتى نجد في حياتنا البيئة الصالحة التي تجدبنا إليها، وتغرينا بها مع علمنا الكامل بأن السعادة لو كانت هدفًا نتوجه إليه ونقصده لكان ذلك سبيل الناس جميعًا، بيد أن السعادة هبة من الله سبحانه وتعالى يمنحها من يشاء، ويسلبها ممن يشاء، ولله سبحانه وتعالى في حكمته شؤون، ولكن ما رأي الغزالي في السعادة؟.

إن السعادة عنده تتمثل في الخير الأقصى- كما كان يرى أرسطو- ولعل الغزالي يُعد من أوائل العُلماء والمفكرين المسلمين في هذا المجال، حيث ألف عن السعادة، وكتب عنها في أكثر من مؤلف، ولكن يبقى الأثر الأرسطي بإجمال واضحًا على كل فلاسفة الإسلام، خاصة مسكويه، حيث رأى

أحدهم أنه «ينبغي أن نسجل لأرسطو مفخرة لها قيمتها في تاريخ الفلسفة الخُلقية، وهي حرصه على رفض الانسياق مع طلاب اللذة من ناحية – احترامًا لإنسانيته – ونفوره من جهة أخرى من الزهاد الذين تطلعوا إلى إماتة الجانب الحسي في طبائعهم، تقديرًا منه لسلامة النفس البشرية، وكانت نظريته في السعادة أكمل من مذاهب المحدثين من أنصار مذهب اللذة والمنفعة، كما كان لمذهبه في هذا الصدد أثره على مدرسة المثاليين المحدثين من أتباع *هيجل، (عبد الرحمن بدوي، 1984م. 570/2)، وغيره»، (أحمد صبحي، 1983م، 61)، ولذلك فإن الإنسان له غاية تجعله يتجاوز كونه كائنًا خُلق لمجرد التمتع باللذات في هذه الحياة الدنيا.

لقد سعى الغزالي بدوره إلى وضع قوالب تصب فيها أخلاق الإنسان الفاضل، على نحو ما تصوره، حيث تصوره بأنه مجموعة من المطالب التي تسيرها مجموعة من القوى، حيث تقوم بينها حرب شعواء لا تنتهي إلا بانتصار بعضها، واستسلام البعض الآخر عنوَة، فقد كان الإنسان –كما تقول الأديان– يتألف من جسد، وروح، فالجسد هو الجانب المادي فيه، أما الروح فهي الجانب المقدس، ومن هنا كانت المشكلة في أن نجعل الروح هي المسيطرة، وهي القائد، وأن نجعل العقل هو القاهر لكل نوازع الجسد، وهذه هي غاية الأخلاق فالحياة الخُلقية تفرض محاربة الشهوات، واستئصالها، فالسعادة تكون في الطمأنينة والسلام الداخلي وعدم الاضطراب، وقلة الهمّ، لذا فإن موضوع السعادة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإنسان «فالإنسان معنيٌ بسعادته، وأحيانًا بسعادة غيره من أفراد جنسه، ومن ثم سعادة المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا يتطلب رؤية سلوكية أخلاقية عملية من جهة ورؤية نظرية تأملية من جهة أخرى، وبمعنى آخر جاء موضوع السعادة مرتبطًا بالفضائل العملية، والفضائل النظرية، كما يعبر عن ذلك الفلاسفة»، (سعيد مراد، 2001م، 189)، وهنا نصل إلى أن الغاية التي يرمي إليها الإنسان من ممارسته للفعل الأخلاقي هي تحقيق السعادة، وهذه السعادة يطلبها كل إنسان، لأنها كمالات الإنسانية باعتبارها غاية يطمح إليها كل فرد.

وعليه فإن السعادة من أعظم الخيرات، فإذا حصل عليها الإنسان لم يكن في حاجة إلى غيرها من الخيرات، أي أنها كافية لذاتها باعتبارها الخير الأقصى، وأكمل وأفضل الخيرات، وما على الإنسان إلا السعي للحصول عليها، فالسعي في بلوغ الخير يكون بمقدار السعادة...لأن السعادة مطابقة للخير، فالسعادة هي الخير على الإطلاق، وكل ما لا ينفع أن نبلغ به السعادة هو الشر على الإطلاق، (علي

ملحم، 1994م، 95)، وبذلك فالسعيد هو صاحب النية الطيبة لأنه «يألم لآلام الآخرين ليتحاشى إيلامهم، ويبذل ما في وسعه لتخفيف آلامهم، كما أن مّنْ يسعد بمسرات الآخرين يتحاشى أن يعكر عليهم صفوهم، بل إنه ليفكر جادًا في إنمائها»، (اندريه كريسون، 1946م، 19) وأن بلوغ السعادة والذي يُعد هدف الاجتماع الإنساني من خلال سعي الإنسان لبلوغ الكمال الأقصى، وبه يتميز عن الاجتماع الحيواني، الذي يتم بدافع الفطرة والغريزة فقط، المجردة عن أي هدف (كامل محمود، 1991م، 117).

ولقد اهتم الغزالي بما يتصل بالإنسان من ناحية العلم والعمل، فلقد جعل الأدب مفتاح الخيرات، والفضائل أبواب السعادة «فالأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان، وجوار الرحمن، والأخلاق السيئة تُعد أبواب مفتوحة على السموم القاتلة، والمهلكات والرذائل والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين»، (الغزالي، 2007م.1/908-909) وهذا يوضح لنا تأثر الغزالي بالبيئة الإسلامية بيئة القرآن الكريم والسنة المحمدية، التي اهتمت بتصحيح العقائد الفاسدة، بحكم عصره وعقيدته، فجاء إنتاجه في إطار البيئة الإسلامية، ولكن ما علاقة الفلسفة بالأخلاق؟.

- علاقة الفلسفة بالأخلاق:

تحت هذا العنوان سوف نبين علاقة الفلسفة بالأخلاق، والتي أرى أنه من الضروري أن نعطيه ولو نزرًا يسيرًا من الاهتمام فنقول: إن للفلسفة علاقة بالأخلاق إذ أن وظيفة الفلسفة ليست تفسير العالم كما هو معتقد لأن الجزء من المحال أن يفسر الكل، وإنما تكمن وظيفة الفلسفة في هدايتنا إلى سبيل السعادة ليس فقط بمجموعة الآراء الحكيمة، وإنما بعنايتها بالحياة الكريمة البريئة من كل نوع من أنواع الاضطراب والجزع، (برتراند رسل، 1980م، 12-15).

وعلى ذلك فالعلاقة بين الفلسفة والسعادة لم تنفصم أبدًا، وإن محض النظرة المنتبهة إلى تعاريف الفلسفة لتقف بنا على تتابع هذا الاتصال على مر العصور. وعلى الرغم من اختلاف مذاهب الفلاسفة وتوجيهاتهم، فهم يعتبرون أن الحكمة هي استكمال النفس الإنسانية لتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية، والعملية على قدر الطاقة الإنسانية، (موسى الموسوي، 2004م، 7)، ومن المعلوم لدينا أن هذا الاستكمال يؤدي ضرورة إلى سعادة الإنسان، وهذا بدوره ما دفع الغزالي إلى القول: بأن غاية

الفلسفة هي الوصول إلى السعادة، وأن الفتور عن طلبها يُعد حماقةً، وعليه فإن «الصوفية، والفلاسفة على الجملة، وإن اختلفوا في الكيفية، كلهم متفقون على أن السعادة في العلم، والعبادة، وذلك بأن يعلم أن سعادة كل شيء ولذته، وراحته، في وصوله إلى كماله الخاص، وقد سُعد في الدنيا، إذ لا معنى للسعادة إلا نيل النفس كمالها الممكن لها» (الغزالي، 2003م. 195-196).

ولقد استعان ابن حزم بالفلسفة أيضًا لأنه يعتبرها «مبينةً للفضائل من الرذائل، موافقة على البراهين المعرفية بين الحق الباطل» (ابن حزم، 2003م،94/1)، وبناءً على ذلك فإن السعادة هي الغاية التي يسعى إليها كل من الفلسفة والدين، «حيث يمكن القول أن هناك شبه إجماع بين المهتمين بهذه القضية على أن غاية الدين والفلسفة هي تحقيق السعادة بشتى منازلها للإنسان» (مختار عطا الله، 2012م، 36-37)، ولكن ثمة اختلاف في السعادة التي يسعى إليها الدين، والسعادة التي تسعى إليها الفلسفة، حيث إن الأولى تسعى وراء السعادة الأخروية، أما الفلسفة فهي تسعى وراء السعادة المرتبطة بالفكر بالدرجة الأولى، ثم تنظر للسعادة الجسمية.

بناءً على ذلك فإن السعادة مثلها مثل طرد الهمّ تُعد مطلوب كل طالب، ومرغوب كل راغب، أيًا كان، إنسانًا عاديًا أو فيلسوفًا أو صوفيًا، لذلك فإن تعاريف الفلسفة على كثرتها فإنها تتفق على شيءٍ واحد هو نتيجتها العملية، فبفضل الفلسفة يتصف الإنسان بالحكمة التي لولاها لانهارت كل القيم الإنسانية، وزال الفرق بين الخير والشر، والسعادة والشقاء (موسى الموسوي، 2004م، 8)، إذًا فالشريعة والحكمة متفقتان على أن معيار الخير والشر هو معيار ذاتي عقلي وليس وضعيًا فتصبح مقاصد الشريعة فلسفة، وتصبح الأعمال والأفكار هدفًا لتحقيق غاية، وهي امتلاك الفضيلة والخير، ومن هنا بنى الفقهاء مقاصد الشريعة على الفكرة الخُلقية، وكادوا أن يؤسسوا نظرية فلسفية خاصة. وبذلك «فإن أحكام الشرع العملية تهدف إلى غرس الفضائل» (ابن رشد، 1970م، 509/2)، وهذا ما أكدته الدكتورة أميرة حلمي مطر بقولها: إن المسلمين قد وجدوا في الكتاب الكريم والسنة النبوية أهم أركان التشريع الذي ساروا عليه في تنظيم مجتمعاتهم، ومن هنا لم يفصل الإسلام بين الدين والدنيا، فارتبطت الأخلاق بالدين كما ارتبطت الأخلاق بالسياسة، وعملوا على التوفيق بين الدين والفلسفة (أميرة حلمي مطر، 1986م، 53-54).

وعليه فقد كانت السعادة، ولازالت، غاية قصوى لكل إنسان، ومعيارًا لأحكامه، فهي «الخير المطلوب لذاته، وهي الحقيقة المطلوبة لذاتها المستأثرة بعينها، إذ أن كل الخيرات إنما تطلب من أجل الوصول إلى السعادة» (الغزالي، 2002م، 83)، وخلاصة القول: أن السعادة مطلوب كل طالب، ومرغوب كل راغب، ونحن نتفق مع أحد الباحثين الذي يرى أن الفلسفة على كثرتها «تتفق في شيء واحد هو نتيجتها العملية، فبفضل الفلسفة يتصف الإنسان بالحكمة التي لولاها لانهارت كل القيم الإنسانية، وزال الفرق بين الخير والشر، والسعادة والشقاء» (موسى الموسوي، 2004م، 8).

إن السعادة القصوى تكمن في تحويل الإنسان إلى عقل كامل يعقل كل الأمور بعيدًا عن الحواس، بطريق البحث الفلسفي، وبصدور أفعاله عن فكر ورويه، وبذلك فإن الإنسان لا ينال كماله الخاص به حتى تصير نفسه «عالمًا عقليًا مرتسمًا فيه صورة الكل، والنظام المعقول في الكل، والخير الفائض في الكل مبتدأ من مبتدأ الكل، وسالكًا إلى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة» (الغزالي، 2002م، 132)، وبناءً على ذلك فالشرع متصل بالعقل وكل منهما يكمل الآخر إذ إن «العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لن يهتدي إلا بالعقل: فالعقل كالأساس، والشرع كالبناء؛ ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسًّا، وأيضاً العقل كالبصر، والشرع كالشعاع، أما الصلة بينهما فهي عنده وثيقة فيقول الغزالي: "فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل متحدان... ولكونهما متحدين فهما نور على نور» (الغزالي، 2002م، 49-50)، وكل السعادات لا تُنال إلا بالعلم والعمل، لا سيما السعادة الدنيوية، فأعلى السعادات الدنيوية المتمثلة في العزة، والكرامة، والمكانة، والقدرة، والسلامة من الغموم والهموم، ودوام الراحة والسرور «لا ينال إلا بالعلم والعمل» (الغزالي، 2002م، ص190)، وأن العلم أعلى شأنًا من العمل، والعمل بمثابة الخادم للعلم، اتباعًا لقوله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (سورة فاطر، الآية10). ولكن ما علاقة السعادة بالمعرفة؟.

- علاقة السعادة بالمعرفة:

لما كانت سعادة الإنسان لا تتأتى إلا من خلال المعرفة فمن المستحب أن نفرد جانبًا من الحديث لعلاقة السعادة بالمعرفة، وبالتالي فإن علاقة السعادة بالمعرفة تكمن عند الغزالي في العلم والعمل، لأن

كمال النفس لا يكون إلا بالعلم والعمل، كذلك الدنيا لا تنال إلا بأسبابها؛ لذا وجب على المؤمن معرفة أن «البهاء الأكمل هو الله سبحانه وتعالى وأن السعادة القصوى في القرب منه، وأن القرب منه ليس بالمكان، وإنما هو باكتساب الكمال على حسب الإمكان، وأن كمال النفس بالعلم والعمل، والاطلاع على حقائق الأمور مع حسن الأخلاق» (الغزالي، 2003م. 293)، ومن يفعل ذلك يكون: «قد سعد في الدنيا، إذ لا معنى للسعادة إلا نيل النفس كمالها الممكن لها» (الغزالي، 2003م. 296)، وكمال النفس بالعلم والعمل واتباع الفضائل والابتعاد عن الرذائل حيث إن «النفس الفاضلة تأنف من تملك الرذائل وتطلب التحصُّن من آلامها وجُور أحكامها» (محمد عبد الستار، 1982م، 196)، كما أن الهدف الذي تسعى إليه الأخلاق هو تحقيق الفضيلة، حيث إنه بتحقيق الفضيلة والاعتدال تتحقق السعادة وتُعد الفضيلة كمالًا للنفس« تناله إذا اعتدلت قواها فلم تجنح إلى الإفراط أو التفريط وكان للقوة العاقلة سياسة القوتين الأخريين، أي الشهوانية والغضبية، وهذا الكمال إذا تم للنفس قويت من الله عز وجل بالمرتبة لا بالمكان، حينئذٍ تتحقق السعادة» (الغزالي، 2003، 207)، نلاحظ هنا أن مفهوم الغزالي للفضيلة يبرز لنا الغاية النهائية للأخلاق وهي: التقرب إلى الله، وهذه هي السعادة، وبذلك فالفضيلة عنده تنبع من مصدر ديني وتتجه إلى غاية دينية. وهنا يراودنا سؤال مهم ألا وهو: ما الفضائل وما أنواعها عند الغزالي؟ وما فضل العلم؟.

- **الفضائل وأنواعها:**

إن السعادة شيء مطلوب لكل البشر على السواء الأولين والآخرين، ولكنها يجب أن تكون مقرونَة بالعلم والعمل، لذلك يقول الغزالي: «لما كانت السعادة، التي هي مطلوب الأولين، والآخرين، لا تنال إلا بالعلم والعمل" (الغزالي، 2003، 179)، وقد قرر الغزالي ذلك في موضع آخر فقال: "لا سعادة لأحد إلا بالعلم، والمعرفة" (الغزالي، 2007م، 878/1)، وتأسيسًا على هذا المنطلق انطلق الغزالي يبشر بأن السعادة القصوى تكمن في تحول الإنسان إلى عقل كامل يعقل أموره بعيدًا عن عالم الحس بطرق البحث الفلسفي وبصدور أفعاله عن فكر وروية، وطريق السعادة عند الغزالي هو العلم والعمل، "أما العلم فلا يخفى دوام العزّ به؛ إذ لا يقبل العزل والإبطال، بعزل الولاة وإبطالهم، ولا يخفى لذة العالم في علمه، وفيما ينكشف له في كل لحظة من مشكلات الأمور، لا سيما إذا كان في ملكوت السموات والأرض، والأمور الإلهية، وهذا لا يعرفه من لم يتذوق لذة انكشاف المشكلات، ثم إنها لذة لا نهاية لها؛ لأن العلوم لا نهاية لها، ولا مزاحمة فيها؛ لأن المعلومات تتسع للطلاب، وإن كثروا بل استئناس

العالم يزيد بكثرة شركائه، إذا كان يقصد ذات العلم، لا حطام الدنيا ورياستها، أما العمل فلسنا نعني به إلا رياضة الشهوات النفسانية، وضبط الغضب، وكسر هذه الصفات، لتصير مذعنة للعقل، غير مستولية عليه ومستسخرة له، في ترتيب الحيّل الموصلة إلى قضاء الأوطار، فإن من قهر شهوته، فهو الحر على التحقيق، بل هو الملك» (الغزالي، 2003م، 191-192.).

كما نجده يعقد فصلًا تامًا عن السعادة ومقدار كمالها بالعلم والعمل بعنوان: (بيان السعادة والشقاوة بعد المفارقة) متتبعًا النفس الإنسانية بعد مفارقتها للبدن، والسعادة والشقاوة التي بحسب الروح والقلب، ووضح رأيه في اللذة الحسية، حيث اعتبرها بعيدة عن الكمال وما هي إلا ظل للكمال الحقيقي(الكمال العقلي)، ويرى أن الإنسان «إذا ما حسّن أخلاقه بموجب الشرع، فله الدرجة العُليا في السعادة، وله الوصول بلا انفصال، وهو النظر إلى الجمال الحق والجلال المحض والكمال الصرف، فحق العاقل أن يسعى لطلب تلك السعادة (الغزالي، 2002م، 138).

ويرى الغزالي أن السعادة الحقيقية لا تتم إلا بترقية النفس إلى منزلة العبودية إتباعًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات، الآية56)، وهنا يربط الغزالي بين السعادة والرضا، ويرى أن النفس الإنسانية لا تنال سعادتها إلا عندما تجعل غايتها رضا الله سبحانه وتعالى، وتسلك الطريق المؤدية إلى ذلك بالتربية والعبادة، والمجاهدة والرياضة، «إلا أن نيل السعادة الموعودة واستلذاذ الطاعة واستكراه المعصية لا يكفي أن يكون في زمان دون زمان، بل ينبغي ذلك على الدوام في جملة العمر، كلما كان العمر أطول كلما كانت الفضيلة أرسخ وأكمل» (الغزالي،2007م، 920/2) وهذا دليل على أن الدنيا مزرعة الآخرة، وكلما كانت العبادة أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل.

لقد انطلق الغزالي يبشر بأن السعادة القصوى تكمن في تحول الإنسان إلى عقل كامل يعقل أموره بعيدًا عن عالم الحس بطريق البحث، وبصدور أفعاله عن فكر ورويّة، وكأن الغزالي يردد قوله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات، الآية 56)، وأظن أن تكون عبادة الإنسان في وصفها الصحيح إلا التذكر والتدبر، والتفكر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، والإقرار بالإله الحق، وهكذا تكون منازل السعداء على حسب المعرفة الإلهية فيقول: "منازل السعداء تتفاوت بحسب تفاوت المعرفة"، (الغزالي، 2007م، 878/1.) إتباعًا لقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ

تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ ، (سورة المجادلة، الآية 58).

1- فضيلة التوحيد: ولكن هل يمكن أن يكون نيل السعادة بقولة: «لا إله إلا الله»؟ يقول الغزالي: «من ظن أن السعادة تنال بمجرد قول: لا إله إلا الله دون تحقيقه المعاملة كان كمن ظن أن الطبخ يحلو بقوله: طرحت السُكر فيه، دون أن يطرحه» (الغزالي، 2003م، ص292)، وبذلك فإن نيل السعادة الحقيقية يكون بالقرب من الله عز وجل، ذلك الذي يتحقق بتهذيب الخُلق وترويض النفس حتى ينكشف النور الجلي، ويظهر معدن الإنسان الحقيقي وجوهره الروحاني (سعيد مراد، 2001م، 83)، ولذلك فإن هذه السعادة لا تنال إلا «بإصلاح الجزء العملي من النفس» (الغزالي، 2002م، 135) وهنا يصل الإنسان إلى حالة من الرضاء عن الله سبحانه وتعالى حيث إن هناك أسبابًا لرضا العبد عن ربه منها:

1- أنه مفوض، والمفوض راضٍ بكل ما اختاره له من فوض إليه، لا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته.

2- إنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله جل جلال ولا راد لحكمته، وإنه ما شاء الله عز وجل، كان وما لم يشأ لم يكن.

3- عبد كامل العبودية وهو الذي لا يسخط على جريان أحكام سيده المشفق المحسن، بل يتلقاها بالرضا.

4- جاهل بعواقب الأمور، وسيده أعلم بمصلحته وبما ينفعه.

5- إنه محب والمحب الصادق: من رضي بما يعامله به حبيبه.

6- أن الرضا يوجب له الطمأنينة وينزل عليه السكينة، ويدفع عنه الهمّ والغمّ والحزن (ابن القيّم، 2001م، 575./1).

2- فضيلة التأدب بآداب الدين : تُعد أخلاق النبيين – عليهم السلام – من أكمل الأخلاق وأفضلها؛ لأنهم متأدبون بآداب الدين، وفي ذلك يقول الغزالي: «إن أكمل الأخلاق وأعلاها، وأحسن الأفعال وأبهاها، هو الأدب في الدين وما يقتدي به المؤمن من فعل رب العالمين وأخلاق النبيين والمرسلين عليهم السلام... »، ولذلك يرى الغزالي أنه ينبغي علينا «تأديب الظاهر، والباطن، فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيًا أديبًا. ومن ألزم نفسه آداب السُّنة نور الله قلبه بنور المعرفة» (الغزالي، 2010م. 403).

3- فضيلة الاقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : انطلاقًا من ذلك وجب علينا الاقتداء بخير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو القدوة المهداة إلينا من رب العالمين لأنه "لا مقام أشرف من

متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله، وأخلاقه، والتأدب بآدابه، قولًا وفعلًا وعقدًا، ونيةً... ومن تأدب بأدب الصالحين، فإنه يصلح لبساط الكرامة، وبآداب الأولياء، لبساط القربة، وبآداب الصديقين لبساط المشاهدة، وبآداب الأنبياء لبساط الأنُس والانبساط، ومن حرم الأدب حرم جوامع الخيرات، ومن لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سُنة، ومن لم يقم بآداب أهل البداية كيف سيستقيم له دعوى مقامات أهل النهاية، ومن لم يعرف الله عز وجل لم يقل عليه، ومن لم يتأدب بأمره ونهيه كان عن الأدب في عزلة (الغزالي، 2010م. 99)، ولذلك فإن العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه إلى الله عز وجل، فالتوحيد موجب يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد له، والإيمان موجب يوجب الشريعة، ولهذا «فمن لا شريعة له لا إيمان له، ولا توحيد له، والشريعة توجب الأدب، فمن لا أدب له فلا شريعة له ولا إيمان، ولا توحيد له، وترك الأدب موجب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب، وأنفع الآداب التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله سبحانه وتعالى عليك، وإذا ترك العارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين» (الغزالي، 2010م، ص99).

وعليه فإن السعادة عند الغزالي تتحقق بتزكية النفس واكتسابها للفضائل، حيث قال: "إن السعادة تنال بتزكية النفس، وتكميلها، وأن تكميلها يكون باكتساب الفضائل كلها" (الغزالي، ميزان العمل، 254)، فالفضيلة هي الشرط الأعلى للسعادة، كما أن السعادة والممارسة أساس قوي في اكتساب الفضيلة، والفضيلة ملكة مكتسبة ترسخ في العقل بالممارسة وتطبيق العقل والاعتدال (عبده الشمالي، 1979م، 67).

فعلى الإنسان أن يتغلب على نفسه، «أم غلب على الإنسان أحد طرفي الإفراط والتفريط عالجه بالتأني حتى يعود إلى التوسط، والنفس الزكية التي تمت رياضتها وصلت إلى مطلبها الاتصال بالحق دائماً وصارت كأنها مرآة مجلوه محاذيًا بها شطر الحق، فيتمثل فيه أثر الحق وتفيض عليه اللذات الحقيقية ويبتهج الإنسان، وبالتالي لما ناله من أثر الحق وهو في هذه الحالة لا يلحظ إلا حضرة الإله المقدس» (محمد عبد الهادي الصباغ، 1986م، 291)، ولذلك تُعد الفضائل والآداب والكمالات طرقًا تُنال بها السعادة، وهي نتيجة وجهة نظر واحدة هي معرفة الله عز وجل، حيث «إن تمام السعادة في معرفة الله تعالى، إذ لا شيء أطيب للعبد، ولا ألذ، ولا أهنأ، ولا أنعم لقلبه من محبة فاطره وباريه، ودوام ذكره والسعي في مرضاته، فهذا الذي لا كمال للعبد بدونه» (ابن قيم الجوزية، 2004م. 113/1)، إذًا فمعرفته تعالى هي صمام الأمان من الوقوع في المهالك التي تعتري النفس البشرية (سعيد

مراد،2001م،87)، وهنا نجد اتفاقًا بين ابن حزم والغزالي، حيث إن أعظم اللذات في الدنيا هي لذة الوصول إلى المراد بعد طول انتظار، حيث إن «الوصول للمحبوب أعظم اللذات في الدنيا إلا أن الدنيا زائلة» (ابن حزم، 2004م. 159). وهذا يُعد خيرًا في حد ذاته، وهذا ما يسعى الانسان لفعل الخير، ويحاول أن يجعله غاية في ذاته لما له من دور واضح في وصول الانسان للسعادة...فما الخير؟ وما أنواعه؟.

المبحث الثاني: الخير وأنواعه:

- الخير الأعظم وأنواعه: الخير الأعظم هو الغاية القصوى التي لها قيمة بالذات وتتوجه إليها الأفعال جميعاً(مراد وهبة، 1979م، 73). يرى الغزالي- كما يرى أرسطو- أن السعادة هي الخير الأعلى، والخير الأعلى هو أفضل أنواع الخيرات في هذه الحياة والتي تقوم على أربعة أنواع من خيرات النفس، وخيرات البدن، والخيرات الخارجية، والخيرات التوفيقية، ثم الخير الأعظم الذي يفوقها جميعًا، ويعني به السعادة الأخروية وهي السعادة الحقيقة الدائمة. إن العمل يقوم على أساس المعرفة الصحيحة التي تقوم على الخير؛ لأن الخير الحقيقي هو اتصال كل فرد بخير المجموع ليتحقق الخير الأقصى... فالإنسان مقصده السعي وراء الخير واجتلابه وتحقيق منافعه (محمد لبيب النجيحي، 1967م، 361)، والخير أنواع:

1- الخيرُ الأخلاقي: هو الفضائل كالأمانة والشجاعة والعفة.
2- الخيرُ الطبيعي: هو الصحة والاطمئنان الاقتصادي والفن والعلم وغيرها (ابن قيم الجوزيه، 2004م، 193/1). ولكن هل الخير يتعلق بالسعادة؟.

إن الخير له علاقة كبيرة بالسعادة "لأن الحياة الإنسانية لها أهداف متعددة أقصاها الخير الأعظم أو السعادة...ومن ثم فالخير يجب أن يكون ذاتياً، لا يمنح كالكرامة السياسية، يختار لنفسه، وكافيًا لتحقيق السعادة في الحياة دون الاستعانة بخير سواه (عبده الشمالي، 1979م، 22)، كما يسعى الناس إلى الخيرات في الحياة الدنيا ليحصلوا منها على السعادة، والسعادة يطلبونها لنفسها، من هذا الخير الكافي، لذلك فإن السعادة عند الغزالي تتمثل في الخير الأقصى -كما يرى أرسطو- ولكن ما هو الخير الأقصى في نظر الغزالي؟ أو ما هي الخيرات عمومًا، ثم ما هو الخير الأعلى من بينها؟.

يُقسم الغزالي الخيرات إلى أربعة مراتب وهي أربع:

1- خيراتٌ نفسية: وهي التي تتمثل في الفضائل النفسية التي حصرها في أمهات الفضائل وهي: العقل، والعفة، والشجاعة، والعدالة، وهي على التحقيق أصول التدين.
2- خيراتٌ بدنية: وتتمثل في أربع فضائل بدنية هي: الصحة، والقوة، والجمال، وطُول العمر.
3- خيراتٌ مطيفة بالإنسان «خارجية»: وهي منحصرة في أربعة أمور هي: المال، والأهل والعز، وكرم العشرة.
4- خيراتٌ توفيقية: ويمكن اعتبارها نوعًا رابعًا من الفضائل التوفيقية، وهي أربعة: «هداية الله سبحانه وتعالى ورشده، وتسديده، وتأييده» (الغزالي، 2004م، ص294-295).

لاحظ تقسيم الغزالي هذا، فقد جعل الخيرات أربعًا، وجعل لكل نوعٍ منها أربع فضائل منها تتكون منازل السعادات، فتكون ستة عشر ضربًا، ولا مدخل للاجتهاد في اكتساب شيء منها إلا بالفضائل النفسية، على أن يجاهد المرء نفسه، وردها إلى التوسط والاعتدال. والغزالي يرى أن على الإنسان أن يتجرد من الحسيات لكي يتفرغ للسعادة القصوى.

ويدعو الغزالي هنا بني الإنسان إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا، لأنهم «القائمون لله سبحانه وتعالى بحجية خلفاء نبيه عليم السلام في أمته، فإنهم لكمال علمهم وقوته، ... يرفع الله تعالى لهم علم السعادة فشمروا إليه، وأسمعهم منادي الإيمان النداء، فاستبقوا إليه، واستيقنت أنفسهم ما وعدهم به ربهم فزهدوا فيما سواه، ورغبوا فيما لديه علموا أن الدنيا، دار ممر لا دار مفر، ومنزل عبور لا مقعد حبور، وأنها خيال طيف أو سحابة صيف، وأن من فيها كراكب قالٍ تحت ظل شجرة ثم راح عنها وتركها، وتيقنوا أنها أحلام نوم أو كظل زائل» (ابن قيم الجوزيه، 2004م، 186/1)، فهذه هي السعادة الخُلقية، وهي التي تخص الجانب العملي في الإنسان، فالإنسان مركب من مجموعة قوى، ولهذه القوى فضائل ورذائل، ومن هذا المنطلق نجد أن السعادة أو كيمياء السعادة التي تعني «تهذيب النفس باجتناب الرذائل، وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل، وتحليتها بها» (الجرجاني، 2005م. 133)، ولكن ما هو الخير الأقصى؟.

إذا كانت الدنيا بمنغصاتها، وهمومها، وأحزانها المؤلمة تعترض الإنسان، وتمنعه من الوصول إلى السعادة من خلال كماله المتاح له فإن سعادة الآخرة هي الخير الأقصى عند الغزالي وهو السعادة

المطلقة التي تُعد «بقاء لا فناء له، وسرورًا لا غمّ أو (همّ) فيه، وعلمًا لا جهل معه، وغنى لا فقر يخالطه» (الغزالي، 2003م، 294)، فهذه هي السعادة المنشودة، «وما عدا ذلك مما تعارف عليه الناس فهو بعيدٌ عن السعادة الحقيقية» (صابر محمد،1991م 69).

والذي نلاحظه هنا هو أن الغزالي يرتقي من السعادة الدنيوية إلى أن تبلغ أقصاها، وذلك في وصول الإنسان إلى كماله الخاص به، وهو أن يتجرد الإنسان من الحسيات لكي يتفرغ للسعادة القصوى: «إن سعادة كل شيء ولذته وراحته في وصوله إلى كماله الخاص به، ثم تعلم أن الكمال الخاص بالإنسان هو إدراك حقيقة العقليات على ما هي عليه دون المتوهمات والحسيات التي تشاركه الحيوانات فيها»، (الغزالي، 2003م، 296)، وهنا يربط الغزالي بين السعادة الي تناسب الإنسان بوصفه إنسانًا، وبين الوظيفة الخاصة بطبيعته، وبذلك يتحصل الإنسان على الكمال عند الغزالي، (رفعت سيد علي منصور، 1992م، 227)، وهذا دليل على أن الغزالي يجعل سعادة الآخرة في الدنيا بالعمل على تزكية النفس بالمجاهدة والعبادة، وإدراك حقيقة العقليات، وفي ذلك دليلاً على أن الغزالي يرفض الأخذ بمبدأ اللذة للوصول إلى السعادة.

وهنا يتفق الغزالي مع ابن حزم في هذه السعادة وطريقة الوصول إليها مع اختلاف المسميات، فالغزالي يسميها السعادة الأخروية وعند ابن حزم تتمثل في طرد الهمّ عن النفس الذي لا نصله إلا بالعمل للآخرة، والنية الطيبة، فالعمل للآخرة طريق موصل إلى السعادة وطرد الهمّ، وهنا يعني عند ابن حزم توحيد الهُموم في همّ واحد ألا وهو «همّ الآخرة»، وبذلك تتلاشى الهُموم، لذا فإن العمل للآخرة فعلًا ذو طبيعة مزدوجة، فهو وسيلة بالنظر إلى ما يترتب عليه من نتائج أخروية، مثلما أنه غاية مطلوبة لذاتها، ويبعد عن القلب الأمراض حيث أن «القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه، إذا استحكما فيه كان هلاكهُ، وموتهُ، وهما: مرض الشهوة ومرض الشُبهات، فهما أصل دار الخلق» (ابن قيم الجوزية، 2004م 139/1).

وعليه فإن الغزالي يطلق على السعادة مسميات عدة، فهي لذة وفرح، يقول: «اعلم أن سعادة كل شيء ولذته، وراحته بمقتضى طبعه وطبع كل شيء ما خلق له، فلذة العين في الصور الحسنة، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لأنه مخلوق لها، وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به...لأن لذة القلب المعرفة، وكلما

كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر» (الغزالي،(د.ت) 426)، وبذلك فالإنسان لا يستطيع أن يصل إلى السعادة الأخروية – القصوى – إلا إذا اجتنب الرذائل وقام بتصفية عقله، فنقول للرجل السعيد »إنك لا تستطيع أن تصل إلى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك إلا بتنقيتها من درن بدنك، وصفائها من كدر جملتك، وصرفها عن هواك» (ناجي التكريتي،1982م، 296).

إن الغاية العليا للنفس الإنسانية تكون في «تهذيب النفس عن الرذائل وتكميلها بالفضائل هو الوصول إلى الخير والسعادة، وأن السعادة هي وصول كل شخص بحركته الإرادية النفسانية إلى كماله الكامن في جبلته، وعلى ذلك فالفرق بين الخير والسعادة يكمن في أن الخير لا يختلف بالنسبة إلى الأشخاص، بينما السعادة تختلف بالقياس إليهم» (محمد أحمد عبد القادر، 2005م، 2005م، 482)، حيث إن السعادة: «لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتها إلا سفينة الجِد، والاجتهاد» (ابن قيم الجوزية، 2004م، 137/1).

أما عن العلاقة الوثقى بالخالق عز وجل "فنجد أن السعادة في حسن طاعة الله سبحانه وتعالى وإفراده بالألوهية والربوبية، فتلك هي العلاقة الوثقى بالخالق التي تضمن منازل السعادة في الدارين كما في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة، الآية 256)، ويقول ابن القيم: «إنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم، ولا صلاح إلا بأن يكون الله سبحانه وتعالى هو إلهه وفاطره وحده، وهو معبوده وغايته، وأحب إليه من كل ما سواه» (ابن القيم، 1972م، 1972م، 35/1)، ولكن هل من الممكن أن تكون الدنيا هي سبب الهموم التي تصيب الإنسان ؟.

إن حُب الدنيا يجلب للإنسان الكثير من المصائب منها الهمّ، والغمّ، والحزن، والشقاء، وكذلك يبعده عن السعادة، لأنه «مهما كان الإنسان آمنًا في سربه، معافى في بدنه، وله قوت يومه، فحزنه، وهمّه، وغمّه، بسبب الدنيا أمارة نقصانه وحماقته، فإن همّه وغمّه ليس يخلو من: إما أن يكون تأسفًا على ماضٍ، أو خوفاً من مستقبل، أو حزناً على سبب حاضر في الحال» (الغزالي، 2003م، ص388–392)، و لكن ما سبب هذا كله؟.

يجيبنا الغزالي على ذلك بقوله: «وسبب هذا كله الجهل بغوائل الدنيا وسمومها، ولو عرفها حق معرفتها لشكر الله سبحانه وتعالى على كونه من المخففين دون المثقلين... فمن كان معتبرًا بما يتجدد كل يوم من ارتجاع النعم من أربابها، وحلول القوارع بأصحابها، وشدة همّهم واغتمامهم بفقدها، لم يأسف على فوتها، ولذلك فحقٌ للإنسان في الدنيا أن ينظر أبدًا ما عاش إلى من هو دونه ليشكر الله سبحانه وتعالى وفي الدين أن ينظر إلى من هو فوقه ليشمر...فالعاقل إذا أمعن النظر في هذه الأمور، خف على قلبه أكثر الهموم والغموم إلا إذا كانت العلاقة قد استحسنت بينه وبين معشوق آدمي، أو مال، أو حرفة، أو رياسة، أو ولاية، أو أمر من الأمور فلا خلاص له عن غمومها إلا بعد قطع العلائق عنها، ولا يمكن ذلك إلا بكف النفس عنها تدريجيًا والاشتغال بغيرها، وإن كان ذلك الغير أيضًا مما يجانسها في وجوب التباعد عنه، ولكن لا بأس بغسل الدم بالدم، إذا كان الأول أشد لصوقًا والتزامًا» (الغزالي، 2003م، ص388-392)، وكل ذلك سببه انشغال القلب بها «فمحب الدنيا لا ينفك من ثلاثة: همٌ لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي» (ابن قيم الجوزية، 1972م 48/1)، وهنا يتفق الغزالي وابن حزم على أن اتباع هوى النفس، وملذات الدنيا وشهواتها جالب للألم، ومُبعد عن الله سبحانه وتعالى لذلك فمن «طمحت هِمته إلى الأمور العالية فواجب عليه أن يشدد على محبة الطرق الدينية، وهي السعادة، وإن كانت في ابتدائها لا تنفك عن درب المشقة، والكره، والتأذي» (ابن قيم الجوزية، 2004م، 137/1)، كما أنهما يتفقان في أن السعادة، وطرد الهمّ، أمر يستوي فيه الناس جميعاً، حيث يقول ابن حزم: «تطلبت أمرًا يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه، فلم أجده إلا واحدًا، وهو طرد الهم" (ابن حزم، 2009م، 76)، ويقول الغزالي: «إذا كان يوجد شيء يمكن أن يتفق البشر جميعًا عليه فإن هذا الشيء هو السعادة، باعتبارها الهدف النهائي للإنسان، إذ لا مقصود سوى السعادة» (الغزالي، 2007م، 1502/2). وبناءً على ذلك فإن السعادة تتباين من انسان إلى خر، ولكن الناس يتفقون على أن سعادة الآخرة هي المنشودة، فهل يمكننا الوقوف على حقيقة السعادة؟ أو تصنيفها وترتيبها؟ وما منازلها عند الغزالي؟. وهذا ما سنحاول الاقتراب منه في النقاط التالية:

- حقيقة السعادة ومنازلها:

أ- حقيقة السعادة: لقد اختلف الناس، فهناك من ظن أن السعادة في كثرة المال (الغزالي، إحياء علوم الدين، 1142/2)، وهناك من ظن أن المال يطرد همّ الفقر (ابن حزم، 2009م، 78-79)

و (ابن قيم الجوزية، 2004م، 169/1)، أو أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس (الغزالي، 2007م، 1124/2)، وهناك من ظن أنها في طلب الصيت والعلو، فمن طلبه ليطرد به عن نفسه همّ الاستعلاء، (ابن حزم، 2009م، 79–80)، أو أن السعادة في طلب الجاه والكرامة بين الناس، أو غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء، (الغزالي، 2010م. 289)، أو هي قضاء الأوطار ونيل الشهوات، (الغزالي، 2010م،289) و (الغزالي، 2007م، 1124/2)، وهناك من يطلب اللذات، ليطرد عن نفسه همّ فوتها، وهناك من يطلب العلم ليطرد عن نفسه همّ الجهل، وإنما من هش لسماع الأخبار ومحادثة الناس، ليطرد عن نفسه همّ التوحد، ومغيب أحوال الناس عنه، وإنما أكل من أكل، وشرب من شرب، ونكح من نكح ... ليطردوا عن أنفسهم همّ أضرار هذه الأفعال، وسائر الهموم «ليصل إلى السعادة» (ابن حزم، 2009م، 78–79)، وتُعد هذه أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله سبحانه وتعالى وعن عبادته، وعن التفكير في آخرتهم، ومعادهم "وهؤلاء طوائف يطول حصرها» كلهم قد ضلوا، وأضلوا عن سواء السبيل، وإنما جرهم الجهل، والغفلة، ولم ينظروا إلى عاقبة الأمور فتشعبت بهم الهمّوم، ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا، فلا يبالي الله عز وجل في أي وادي أهلكه منها، فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا (الغزالي2007م، 1125/2).

وعليه فإن الخير الأقصى أو السعادة الحقيقية عند أبي حامد الغزالي هي السعادة الأخروية وهي بقاء بلا فناء، وهي من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان «وإن كانت نعمهُ لا تُحصى مفصلَة فجملتها منحصرة في خمسة أنواع منها: السعادة الأخروية التي يرجع حاصلها إلى أربع حالات هي: بقاء لا فناء له، وسرور لا غمّ بعده ولا (همّ فيه)، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر يخالطه، ولن يتوصل إليها إلا بالله ولا يكمل إلا به» (الغزالي، 2003م، 264)، وهذه تُعد أعظم النِعم الإلهية، التي يحصل عليها الإنسان المؤمن في الآخرة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك واصفًا هذه المعيشة قائلًا: {لا عيش إلا عيش الآخرة}، (صحيح مسلم بشرح النووي، 2003م، 182/11).

يقول الغزالي: «إن كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى، ففي السماء في جواهر الملائكة، وفي الأرض في قلوب الأولياء العارفين، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق، ويكون عمله الدينار البهرج (ابن منظور، 1992م،217/2)، فيظن في نفسه غني وهو مفلس في القيامة. فالكيمياء هي المجاهدة وتطهير القلب من الأخلاق المذمومة، وكيف

يؤدونه لطريق الصفاء أي التطهير من الأخلاق المذمومة، ومن صفات البهائم، ويجعل صفات الملائكة لباسهم، وحليتهم، ومقصود هذه الكيمياء (أيضًا) وإن كل ما كان من صفات النقص يتعرى منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه، وسر هذه الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله سبحانه وتعالى» (الغزالي، 2009م،21-22).

ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها، وشرف العلم تابعًا لشرف معلومه كانت نهاية سعادة العبد الذي لا سعادة له بدونها، ولا حياة له إلا بها أن تكون إرادته متعلقة بالمراد الذي لا يبلى ولا يفوت، وعزمت همته إلى حضرة الحي الذي لا يموت ولا سبيل له إلى هذا المطلب الأسمى، والحظ الأوفى إلا باتباع طريق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ أن «الطُرق كلها إلا طريقه صلى الله عليه وسلم مسدودة والقلوب بأسرها إلا قلوب أتباعه المنقادة إليه عن الله سبحانه وتعالى محبوسة مسدودة، فحق على من كان في سعادة نفسه ساعيًا، وكان قلبه حيًا عن الله سبحانه وتعالى واعيًا أن يجعل من هذين الأصلين مدار أقواله، وأعماله، وأن يجعلهما أُخبيته التي إليها مفزعه في حياته، ومآله» (ابن قيم الجوزية، 2004م، 61/1، 62)، كما يقصد الغزالي من هذه الكيمياء – كيمياء السعادة – محاكاة الكيمياء القديمة "وهي تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة قاصداً بذلك تحويل سلوك الإنسان من سلوك رديء إلى سلوك طيب فاضل لتحقيق السعادة على أساس سيطرة القوى العقلية في الإنسان على القوة الغضبية، والقوة الشهوانية» (محمد شحاته، 1995م،454).

إن غاية العمل الخُلقي عند الغزالي هي معرفة الله سبحانه وتعالى وسعادة الإنسان تكون في اعتدال هذه القوى عن طريق رياضة النفس، وهي حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب، وهنا تأكيد من الغزالي على ارتباط السعادة بالتوحيد، فالتمسك بأصول وآداب الإسلام يُعيد للإسلام رونقه وبهاءُه، ويُعيد للإنسانية وجهها المشرق، ونحصل بالتوحيد على سعادة الدنيا والآخرة لأنه «لا سعادة إلا في معرفة الله سبحانه وتعالى» (الغزالي، 2007م، 1186/2)، ويرى الغزالي أن الإيمان بالله عز وجل يجعل المؤمن راضيًا مطمئنًا في الحياة الدنيا وسعيدًا مسرورًا في الآخرة، وهكذا عالج الغزالي الأخلاق من ناحية الإيمان، ومن ثم " كانت أخلاقه دينية صوفية" على حد تعبير العلامة(كارادفو)، (كارادفو، 1959م. 151)، ولكن ما هي منازل السعادة عند الغزالي؟.

نظرًا لتعدد ملكات الإنسان بحواسه، فإن السعادات متعددة مختلفة، لذا وجب علينا أن نتعرف عليها من خلال تقسيم الغزالي للخيرات.

ب- منازل السعادة: يقسم الغزالي منازل السعادة إلى قسمين رئيسين هما:

1- السعادات الدنيوية: وهي السعادات التي تكون للإنسان مدة بقائه في الدنيا، وتتضمن أربعة أنواع هي: الفضائل النفسية، والفضائل البدنية، والفضائل المطيفة بالإنسان مثل: المال، والأهل، والجاه وكرم العشيرة، والفضائل التوفيقية، مثل: هداية الله سبحانه وتعالى ورشده، وتسديده، وتأييده، وهي نفس الخيرات عند الغزالي، (الغزالي، 2003م 294-295)، ولذلك نجد الغزالي يربط السعادة في الحياة الدنيا بالنعم، ويوصي من يبتغي السعادة التي توصله إلى السعادة الأخروية، والاستمتاع بلقاء الرحمن عز وجل باتباع تعاليم الدين، (الغزالي، 2007م، 1187/2)، ويخنط لنفسه نهج العمل (الغزالي، 2003م، 230)، والهدف من ذلك كله الوصول إلى السعادة، ولذا يحق لنا أن نعتبره قد نجح في ربط السعادة بالإيمان، واضعًا لذلك أقوى السُبل، وهو سبيل العقيدة والعمل الصالح، وإعمال العقل في التمييز بين اللذات عاجلها وآجلها.

وهذه السعادات الدنيوية تُعد مستعارة، ولذتها مؤقتة فهي «سعادة خارجية عن ذات الإنسان، بل هي مستعارة له من غيره لا تزول باسترداد العارية، وهي: سعادة المال، والحال، فبها يكون المرء سعيداً ملحوظًا بالعناية، مرموقًا بالأبصار، والفرح، والسعادة بهذه كفرح الأقرع بجمة (ابن منظور، لسان العرب، 104/12) ابن عمه» (ابن قيم الجوزية، 2004م، 135/1)، وهي شغل النفس بما تعشقه (أبو البركات البغدادي، 1357هـ، 422/2)، ولكن ماذا عن النِعم التي أباحها الله سبحانه وتعالى لنا في الدنيا؟.

يرى الراغب الأصفهاني أن: هذه النِعم المباحة لنا، لا تكون سعادة إلا إذا تناولناها على الوجه الذي جعله الله سبحانه وتعالى لنا (الراغب الأصفهاني، 1988م، 105)، فنكون ممن وصفهم الله بقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (سورة التوبة، الآية55).

أما الذين يتناولونها لا على الوجه الذي شرعه الله عز وجل لهم، فركنوا إليها فهي في حقهم نقمة وعذاب في العاجل، والآجل، (الراغب الأصفهاني، 1988م، 105)، وهُم الموصوفون بقوله عز وجل: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (سورة التوبة، الآية 55)، ولقد حاول الغزالي هنا «بلوغ هذه السعادة –الدنيوية– عن طريق التأديب، والتعلم والترويض، فإذا كان مقصد ذوي الألباب لقاءه سبحانه وتعالى في دار الثواب فلا طريق إلى ذلك إلا بالعلم والعمل» (سعيد مراد،2001م، 83).

2–السعادة القصوى: وهي – كما قلنا – السعادة الأخروية باعتبار أنها لا تتحقق إلا في الآخرة فحسب بل على اعتبار أنها تبقى، وتستمر إلى ما بعد الموت، ويقول الغزالي: «وكل لذات، وشهوات الدنيا متعلقة بالجسد، وهي تبطل بالموت، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب، فلا تبطل بالموت، لأن القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوؤه أكبر، لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء» (الغزالي، 2009م، 41–42)، وبما أن الغزالي يقول: أن هناك سعادة بدنية أو خيرات بدنية – كما سبق– ولذا نجد أن ابن قيم الجوزية يوافقه الرأي فيقول: «شعر الإنسان بأن هناك سعادة في جسمه، وبدنه كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وحسن تركيبه، وصفاء لونه وقوة أعضائه، وهي في الحقيقة خارجة عن ذاته أيضًا، فإن الإنسان بروحه، وقلبه لا بجسمه، وبدنه» (ابن قيم الجوزية، 1988م، 136/1).

وإن نسبة هذه السعادة إلى روح الإنسان كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه، فإنها عارية (الراغب الأصفهاني، 1988م، 104) للروح وآلة لها، ومركب من مراكبها، فسعادتها بصحته وجماله، أما أهم سعادة فهي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسية روحية قلبية، وهي «سعادة العلم النافع وثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره، وفي دوره الثلاثة أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وبها يترقى معارج الفضل، ودرجات الكمال» (ابن قيم الجوزية، 2004م، 136/1)، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (سورة السجدة، الآية 17)، وهنا يتفق الغزالي مع ابن حزم في أنه لم ينكر حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله مع توفيق من الله سبحانه وتعالى ومساعدة منه، وبعد أن عرفنا منازل السعادة عند الغزالي، نتطرق الى اللذات وأنواعها وذلك لارتباطها بالسعادة، ولكن ما أنواع اللذات، وما أنواعها عند الغزالي؟.

- اللذات وأنواعها:

ولما كانت السعادة بالنسبة لكل مخلوق هي نيله لمقتضى طبعه، فإن سعادة القلب هي المعرفة، والعلم هو لذتها، فإن لذة العلم وسعادة المعرفة تتفاوت بقدر شرف المعلوم، فليست السعادة الحاصلة عن معرفة علم النحو والشعر كالحاصلة عن المعرفة والعلم بالله تعالى وصفاته، وملائكته، وملكوت السموات والأرض (الغزالي، 2009م، 41)، «وإن هذه السعادات بعد السعادة الأخروية ستة عشر ضربًا، ولا مدخل للاجتهاد في اكتساب شيء منها إلا الفضائل النفسية، فقد عرفت أن هذه الخيرات خمسة، وهي الأخروية والنفسية، والبدنية، والخارجية، والتوفيقية، والبعض منها يحتاج إلى بعض، وإذا كانت السعادات الدنيوية سعادة مطلوبة، فطلبها يكون عونًا على تحقيق السعادة الأخروية، لأن الدنيا مزرعة الآخرة». (سعيد مراد، 2001م، ص89).

وتُعد لذة الحضرة الربوبية من أجلّ اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم، وأنه لا يتصور أن يفضل عليها لذة أخرى إلا من حُرم هذه اللذة، حيث إنه كلما «طال الأمد ازدادت قوة وعلوًا، وإذا عدم المال والجاه فهي مال العبد وجاهه، وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح للبدن إذا انقطعت السعادتان الأوليتان، وهذه السعادة لا يُعرف قدرها، ويبعث على طلبها إلا العلم بها، فعادت السعادة كلها إلى العلم، وما يقتضيه»، (ابن القيم الجوزية، 2004م، 136/1)، ولكن ماذا عن اللذات عند الغزالي؟.

يقسم الغزالي اللذات إلى نوعين هما:

1- «لذات ظاهرة: كلذة الحواس الخمس.

2- لذات باطنة: كلذة الرياسة، والغلبة، والكرامة، والعلم. إذ ليس هذه للعين، ولا للأنف، ولا للأذن، ولا للمس، ولا للذوق، فالمعاني الباطنية أغلب على قوى الكمال من اللذات الظاهرة... نعم فالناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنية يعد كالصبي، أو كالذي ماتت قواه الباطنية كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة، وكما أن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا، فكذلك لذة معرفة الله سبحانه وتعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات على الخلق» (الغزالي، 2007م، 1667/2)، وللزيادة:

(الغزالي،2003م، 307-308)، وهذه تُعد لذة عقلية محضة، ولذا لأنه مما لاشك أن هذه اللذات أفضل بكثير من اللذات الحسية، ولذلك يجب ألا نقيم وزناً لمن يرون أن السعادة لا تتحقق إلا في الأكل والشرب والنكاح، ويجب أن نبصرهم مبينين لهم حال الملائكة حيث لا مأكول ولا مشروب ألذ وأبهج من حال الحيوان الآكل والشارب والناكح، بل لا نسبة بين الحالين (عبد الحليم محمود، (د-ت)، 214).

وهذه هي ارقى منازل السعادة القصوى والتي تتمثل في «القرب من الله سبحانه وتعالى، وأن القرب منه ليس بالمكان، وإنما هو باكتساب الكمال على حسب الإمكان، وأن كمال النفس بالعلم والعمل والاطلاع على حقائق الأمور مع حسن الأخلاق» (الغزالي، 2003م، 93)، فهذه السعادة باقيَة حتى ولو هلك صاحبها، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله سبحانه وتعالى ومحلها الروح، وإنما الموت يغير أحوالها، ويقطع شواغلها، وعوائقها ويُخليها من حبسها» (الغزالي، 2009م، 42)، وقد تكون هذه السعادة في هذه الدنيا على سبيل التنوير لمن سلك إليها طريقها، وجعل نفسه أهلًا ليدرك هذه الحقائق العالية، فتفيض عليه من الله عز وجل كما فاضت على الأنبياء والأولياء والصديقين، "فيفيضان هذه الرحمة من الله عز وجل على النفس غاية المطلوب، وهو عين السعادة التي للنفس بعد الموت»، (محمد يوسف موسى، 1945م. 163) و (الغزالي، 2007م، 1186/2)، حيث إنه «لا سعادة إلا في معرفة الله" (الغزالي، 2007م، 1186/2)، وبذلك يُعد العلم بالله عز وجل وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة، وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله سبحانه وتعالى ويبقى كمالًا للنفس بعد الموت، وما يتعلق به هو نور العارفين، وهذه هي اللذات العقلية الأخروية التي تُعد أفضل من اللذات المادية الدنيوية، وهذا الرأي يتفق مع قوله :صلى الله عليه وسلم {أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قب بشر}، (صحيح البخاري، 1989م، 1185/3).

ولذا نقول: لقد اجتمعت لدى الغزالي النزعة الفلسفية والأشعرية والصوفية في التعبير عن نظريته في السعادة، وهذا ما جعل أحد الباحثين يذهب إلى «أن السعادة تتمثل في الخير الأعلى الذي لا سبيل إلى تحقيقه إلا بالتوكل على الله سبحانه وتعالى وبذل الإخلاص فيه سبيل رضاه» (محمد أحمد عبد القادر، 2005م، 480)، وفي هذا الأمر يتفق ابن حزم مع الغزالي فيه، وهذا ما نراه، وكما

أن السعادة عند ابن حزم مرتبطة مع الفضيلة نجدها أيضًا مرتبطة بالفضيلة والخُلق الحميد عند الغزالي، حتى أنه قيل «أن الغزالي لم يفرق بين الفضيلة والخُلق فهما عنده عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة"، (زكي مبارك، 1988م.145)، إذ إن «السعادة لا تنال إلا بتزكية النفس، وتكميلها، وأن تكميلها باكتساب الفضائل كلها» (عادل خلف، 2010م،61)، ولقد ذكر بعضهم أنه كان "حسناً، ولطفاً من حجة الإسلام ألا ينسى الواقع، فقرر أنه لكي تكون السعادة كاملة يجب أن ينعم المرء بخيرات النفس، والبدن، والخيرات الخارجية» (محمد يوسف، 1945م،195)، ولكن ما سُبل السعادة؟.

- سُبل السعادة عند الغزالي:

أما فيما يخص سُبل السعادة عند الغزالي، فنجد أن طريق تحصيل السعادة لديه ذو شقين:

أ- شقٌ نظري: وهو طلب العلم.

ب-شقٌ عملي: وهو مجاهدة النفس وشهواتها، لئلا تخرج عن الاعتدال والوسطية بإشارة قوة العلم (صابر محمد فروج، 1991م، 76)، كما أن التمتع بنعم الله عز وجل على الوجه الذي شرع لنا في الحياة الدنيا هي السعادة الأخروية، (الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين،104)، ولما كانت هذه السعادة تحول وتبيد، فإن الله عز وجل، جعل السعادة الأخروية امتدادًا لسعادة الدنيا، وعليه فمن سعد في دنياه فهو سعيد في آخرته «أي أن الطريق إلى سعادة الآخرة هو أن يعمل الإنسان وفق شرع الله عز وجل في الدنيا» (صابر محمد، 1991م، 82)، وتمام السعادة عند الغزالي مبني على ثلاثة قوى هي: «قوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطًا، فكلا طرفي الأمور ذميم، ولكي لا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرُخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الجموح فيهلك، فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم دل على طريق الهداية» (الغزالي، 2009م ،31)، وعليه يجب ألا تحكم العلاقة مع القوى البدنية قصداً بل للعقل العملي يد الاستيلاء لكي تصبح القوى الحيوانية منقادة مطاعة، ولكن لماذا لا ندرك هذه السعادة؟.

يُجيبنا الراغب الأصفهاني بأن عدم إدراكنا لحقيقة السعادة الأخروية «يرجع إلى سببين اثنين هما:

- أحدهما: أن الإنسان لا يمكن أن يعرف حقيقة الشيء وتصوره حتى يدركه بنفسه.

- ثانيهما: أن لكل قوة من قوى النفس وجزء من أجزاء البدن لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيرها، وحتى تعرف هذه القوة سعادة الآخرة وجب أن تباشر النعيم الأخروي» (الراغب الأصفهاني،1988م، 106).

ونخلص هنا إلى أن السعادة عند الغزالي تتحقق عن طريق تحقيق التواصل مع الذات الإلهية، والفوز برضاها، والاعتدال في الفضائل، والتخلق بالخُلق الحسن، كما أنه جعل المرجعية الإسلامية المتمثلة في القرآن، والسّنة أساسًا له، وهذا ما عبر عنه الدكتور زكي مبارك حيث يقول: «فرأيته لا يضع حُكمًا إلا وقد اقتبسه من حكمة أو محل، أو بيت شعر، أو حديث أو أثر إلى غير ذلك مما قرأه بنفسه أو سمعه من أساتذة» (زكي مبارك،1988م، 79-83)، وأيضاً الدكتور محمد يوسف حيث يقول: «كان له من القرآن والحديث، والآثار معين لا ينضب وعون له قيمته وأثره الكبير» (محمد يوسف، 1945م، 200-209).

وبما أننا ذكرنا أن ابن حزم حين عرض مفهومه لطرد الهمّ منذ البدء بجعله غاية لكل البشر، وهم يستوون في طلبه، فكذلك الغزالي ينطلق من المبدأ نفسه ألا وهو: «أن السعادة غاية يتشوقها كل البشر، والنحو إليها يُعد كمالًا للنفس، وبالتالي كمالًا للإنسان، فهي الخير الأقصى والغاية الحقيقية التي يسعى إليها كل إنسان من وراء عمله وعلمه، وهي المطلقة وليست وسيلة لغاية أبعد منها، وبالتالي فلا مقصود سوى السعادة» (الغزالي، 2007م، 1502/2، وانظر (لابن حزم، الأخلاق والسير، 76)، ويضيف الغزالي على القيمة الخُلقية للسعادة بأنها: «وصول كل شخص بحركته الإرادية النفسية إلى كماله الذي في جبلته، ولذلك إذا كان هناك يوجد شيء يمكن أن يتفق البشر جميعًا عليه فإنه السعادة، باعتبارها الهدف النهائي للإنسان» (الغزالي،2007م، 1052/2)، ولكن كيف يبين لنا الغزالي ذلك؟.

ويبيّن ذلك بأن الغاية تشتاق دومًا إلى خيرات كثيرة، ومن الطبيعي أن المرء يؤثر منها خيرًا يتطلع إليه على أنه أعظم الخيرات، وأكمل الغايات، فلم يظهر هذا الخير لدى الغزالي إلا في السعادة الأخروية، وذلك بتصنيف الخيرات والسعادات، وبذلك اعتبر الغزالي أن السعادة هي أعظم الخيرات وأكمل الغايات في أن تكون غاية لأفعالنا الخلقية، كما أنه يرى أن السعادة إذا حصلت لا تحتاج إلى غاية أخرى بعدها، ولا تكون بأي حال من الأحوال وسيلة لغاية أبعد منها، فمن ذا الذي يبتغي غاية أفضل من الحضرة الربوبية؟ التي تُعد غاية الغايات، والسعادة القصوى، ومن كان مكتفيًا بنفسه لا

يحتاج أصلًا لا من قبله ولا من بعده، لأي شيء آخر، فهو أحرى الأشياء بأن يكون قيمة أخلاقية يسعى إليها كل بني البشر، (الغزالي، كيمياء السعادة، 41–42)، وهنا يتفق مع ابن حزم الذي يرى أن «المقرّ بالرؤية لله عز وجل شديد الحنين إليه، عظيم النزوع نحوها (الحضرة الربوبية) لا يقنع بدرجة دونها؛ لأنه يطمع فيها» (ابن حزم، 2009م، 130).

ويوضح الغزالي ذلك من خلال تعرضه لواقع الناس في سعيهم للسعادة، فيما تبيّن له أو يظنه كل إنسان في اتجاهه نحوها، فمنهم: من يرى سعادته في كثرة المال، وآخر يرى السعادة في الجاه والكرامة بين الناس، وآخر يرى السعادة في قضاء الأوطار، ونيل اللذات، وهناك من يرى السعادة في العلم، (الغزالي، 2007م،1124/2، وكذلك (الغزالي، 2010م،ص289)، وغير ذلك كثير، وبالتالي اعتبر الغزالي أن السعادة القصوى تكون في أعظم المنازل– منازل الخير طبعًا– ومن وصل إلى مبتغاه فقد وصل إلى نهاية الكمال الإنساني المتمثلة في معرفة الله سبحانه وتعالى والنظر إلى وجهه الكريم، لأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حُرم هذه اللذة، وبالتالي فإن السعادة هي أعظم منازل الخير لأنه لا خير أفضل من السعادة الأخروية التي لا شقاء فيها، فهي دار بقاء لا دار فناء، ولأن القرب منها هو: اكتساب للكمال على حسب الإمكان (الغزالي، 2003م، 9)، ولكن ما هي العلاقة بين السعادة وطرد الهمّ في تفسير الفعل الأخلاقي؟.

المبحث الثالث: العلاقة بين السعادة وطرد الهمّ في تفسير الفعل الأخلاقي:

ولفهم هذه العلاقة لابد أولًا من الوقوف على الغاية والوسيلة كمحاولة اقتراب فنقول: جاء تعريف الغاية في المعجم الفلسفي، حيث قال صاحبه: «الغاية هي: ما لأجله وجود الشيء النهائي، وتطلق على الحد النهائي الذي يقف العقل عنده، وهي الكمال المقصود بحقيقته» (جميل صليبا، 1994م.120/2)، «وهي ما ينزع إليه الإنسان، أو الكائنات قصدًا، أو عن غير قصد» (جميل صليبا،1994م، 550/2)، والوسيلة هي: "ما يتوصل به إلى الشيء، وهي ما يتقرب به إلى الغير، أو ما يتحقق به غرض معين، وهي مقابلة للغاية"(المعجم الفلسفي، 1983م،131).

والآن سنأخذ تعريف الجرجاني كمعيار للموازنة بين الغاية والوسيلة حيث يقول: «الغاية هي: ما لأجله وجود الشيء» (الجرجاني، 2005م،115)، أم الوسيلة فهي: «ما يتقرب به إلى الغير» (الجرجاني، 2005م،176).

وهذا ما نعتقده بالضبط، وهو ما يعنيه الغزالي وابن حزم، حيث قررا أن المقصد الأساسي لكل إنسان هو الوصول إلى السعادة القصوى، بيد أن ابن حزم يرى أن المقصود الأساسي والذي يسعى إليه بنو البشر ليس إلا طرد الهمّ عن النفس، فمثلاً من طلب اللذات فالغاية منها عنده هو: طرد همّ الخوف من فوتها، وهنا يجب ألا يفهم أن ابن حزم يعني بمفهومه سعادة سلبية أو مفهوم مرادف له بمعنى واحد مع السعادة، ولكن ما الفرق بينهما أقصد طرد الهمّ والسعادة؟.

ولتبيين الفرق بينهما سنهتم في البداية بالمفهوم الغائي للسعادة عند الغزالي، والذي يرتكز على مسألتين جوهريتين يعدان بمثابة حجر الزاوية لنظرية السعادة وهما:

الأولى: تتعلق بربط السعادة بالكمال والخير، والثانية: تتعلق بأن السعادة تعد من أعظم الخيرات وأكملها غاية، لأنها القيمة الأخلاقية التي تُطلب غايًة في ذاتها، ولا تكون في أي وقت من الأوقات وسيلة لغيرها، ولكن يمكن أن يوجه إلى تلك الأدلة التي تستند عليها السعادة انتقادات باعتبارها غير كافية، وهذه الانتقادات يمكن إيجازها في الآتي:

أولًا: قيمة السعادة الخُلقية: إن إثبات قيمة السعادة الخلقية باللجوء إلى الكمال والخير، يُعد مخالفة للمبدأ الذي تستند عليه نظرية السعادة ألا وهو: أنها غاية في حد ذاتها، ولا تحتاج إلى غاية أخرى، فلو فصلنا الكمال والخير عن السعادة لأصبحت مفهومًا مجردًا يتعارض مع القول: إن السعادة قيمة أخلاقية واقعية تصلح أن تكون غاية لكل الناس، فيما يعتقد كل واحد منهم من فعله الخلقي هو الغاية منه السعادة.

ثانيًا: تقرير السعادة بأنها غاية في ذاتها: إن تقرير السعادة باعتبارها غاية في حد ذاتها لأنها أعظم الميزات، وأكملها غاية، فهنا لا توجد أي علاقة تحليلية بين القضية الأولى والثانية، بمعنى آخر أن السعادة غاية في حد ذاتها، لأنها أعظم الخيرات، وأكمل غاية، وأعظم الخيرات، وأكمل غاية تتمثل في السعادة القصوى في حد ذاتها، وبذلك ألا يُعد هذا دورًا منطقيًا (أ هي ب، ب هي أ).

ثالثًا: المفهوم الأخلاقي للسعادة: لاحظ أنه في المفهوم الأخلاقي للسعادة تجد أن ليس هناك من الوسائل ما يبررها بما يمكن القول: أنها قيمة أخلاقية صالحة في تفسير الفعل الأخلاقي، فالكمال والخير لا يعني بهما وسائل للسعادة بقدر ما هما السعادة في حد ذاتها، ولكن ماذا عن مفهوم طرد الهم عند ابن حزم؟.

أما مفهوم طرد الهمّ عند ابن حزم وحينما أراد إثبات مفهومه الغائي، فقد رأينا أنه لم يلجأ لأي قيمة أخلاقية، ولم يقرر في سعي المرء له أنه يريد ذلك النحو إلا الكمال والخير، إنما يرى خلافاً لذلك على الإطلاق، وقد بيّن أن هناك من الأفعال الإنسانية ما لا يكون كمالًا ولا خيرًا، ولا شهرة، ولكن هي كذلك غايتها عنده إزاحة الهمّ عن النفس.

أن ابن حزم قام بتوحيد كل الغايات في مفهومه، بحيث إنه لم يستعن في إثباته بأي شيء آخر، ومع ذلك لا يكفي القول بأنه أجدى من السعادة فليس من السهل تقرير أن كل الأفعال الإنسانية الغاية منها طرد الهمّ إلا إذا ما وجدنا من الوسائل ما يبرره، ولحل هذه المسألة لابد من تحليل دقيق في علاقة مفهومة لطرد الهمّ بالمطالب الإنسانية التي ذكرها ابن حزم، وهي في اعتقادي نفس المطالب اليوم وفي الحياة التي نعيشها، ولنأخذ منها مثلًا: المال، واللذات، والعلم.

ولذا فإن أول ما نلتمسه في هذه المطالب عند ابن حزم أنها تبدأ وتنتهي بالهمّ الموجود في النفس، فطلب المال يرجع إلى طرد همّ الفقر والحاجة، بما تسببه من ألم وحزن وهمّ نفسي يجعل المرء يتجه للحصول على المال، وإذا حصل على المال يستطيع به طرد همّ الفقر والحاجة عن النفس، ولكي نزيد من إيضاح هذا الأمر نقول: إن طلب اللذات والعلم لا يقصد بها ابن حزم أنها تطلب لذاتها ولا الغاية منها السعادة، إنما الحقيقة المنشودة من ذلك تتمثل في طرد همّ الخوف من فوت اللذات، وطرد همّ الجهل، فهما اللتان جعلتا الإنسان يطلب، ويحصل على اللذات، والعلم، وعلى ضوء تحليل تلك العلاقة يمكننا القول: بأن ابن حزم بمفهومه لطرد الهمّ مع أنه يفسر به المطالب الإنسانية بمفهوم سلبي إلا أنه بعد التفحص والتدقيق فيه نجد أنه يحمل في طياته مفهومين إيجابيين، ويمكن أن نوضح ذلك فيما يلي:

*** المفهوم الإيجابي الأول:**

- إن طلب طرد هم الفقر يتطلب المال.
- إن طلب طرد هم الخوف من فوت اللذات يتطلب اللذات.
- إن طلب طرد همّ الجهل يتطلب العلم.

فيما سبق يتمثل لدينا المفهوم الإيجابي الأول لمفهوم طرد الهمّ عند ابن حزم.

*** أما المفهوم الإيجابي الثاني: فيكون كالتالي:**

- طرد همّ الفقر ينتهي بالحصول على المال.
- طرد همّ الخوف من فوت اللذات ينتهي بالحصول على اللذات.
- طرد همّ الجهل ينتهي بالحصول على العلم.

فالمفهوم الإيجابي الأول: يُعد محاولةً لطرد الهمّ عن النفس بأن يجعل المرء نتيجة للبحث عن وسيلة خارجة لإزاحته، إذ هو السبب الذي وجه المرء نحو الطلب.

أما المفهوم الإيجابي الثاني: عند الحصول على الطلب يتم طرد الهمّ عن النفس، وبذلك تتحقق الغاية من الفعل الإنساني، والمتمعن في المفهومين الإيجابيين يلاحظ أن طرد الهمّ لدى ابن حزم سابق في الوجود على الوسيلة المتمثلة في المطالب، أي طرد همّ الفقر وطرد همّ الخوف من فوت اللذات وطرد همّ الجهل سابق على طلب المال، واللذات، والعلم، لأنه محاولة إزاحته، وطرده عن النفس هو السبب الذي يوجه المرء تلقائيًا نحو هذه المطالب، بيد أنه في حالة طرده عن النفس نهائيًا، يأتي متخلفًا عن الوسيلة بمعنى أن طلب المال، واللذات، والعلم حينما يتم الحصول عليها تسبق طرده عن النفس، لأنه بواسطة هذه المطالب يتحقق طرد الهمّ، وهنا يمكننا القول: إن ابن حزم قد حافظ على آليته الغائية، وأن له الاستقلالية الذاتية في تحليل الفعل الإنساني، ومن هنا يمكن القول أنه أجدى من المفهوم الغائي الأخلاقي للسعادة.

ومما يؤيد ذلك أن القول: السعادة إذا حصلت لا تحتاج إلى أي شيء آخر. هذا القول قد يتعارض مع واقع الناس في سعيهم للسعادة، فمثلًا: هنالك من اعتقد أن طلب المال هو الطريق الموصل إلى السعادة، وحصل على ما يطلب، ولكن لم يجدها في حين أن ابن حزم بين أن الهمّ يبقى موجوداً في النفس حتى بعد الحصول على الطلب، ولذلك نقول: إن الشيء الموجود داخل النفس، ويريد الإنسان دائمًا أبدًا طرده هو الأقرب إلى الصواب من شيء خارج النفس قد يبحث عنه ولا يجده، ألا وهو السعادة، وفضلاً عن ذلك إذا عُرفت السعادة في الأوساط الأخلاقية خلافًا للشقاوة ، حيث إن الشقاوة: عكس السعادة، والشقي عند ابن حزم من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطاعات (ابن حزم، 2009م، 82)، فإنه يمكن القول: إن مفهوم طرد الهمّ عند ابن حزم يحتوي هذا المفهوم لأنه قد بيّن أن طرحه مطلوب ثمين جوهري للنفس الإنسانية، ولذا فإن السعادة لا يمكن معرفتها والشعور بها إلا بطرد الهمّ عن النفس، فيترتب على ذلك أن الذي لا يحتاج إلى الآخر والآخر

يحتاجه، فهو بذلك الأصلح، والأجدر أن يكون غاية لتفسير أفعالنا الخُلقية، وهنا ألا يمكننا القول: أن مفهوم طرد الهمّ يُعد محاولة بديلة لنظرية السعادة؟.

أما فيما يخصّ ما أسهمت به هذه المقارنة في محاولة فهم العلاقة بين مفهوم طرد الهمّ عند ابن حزم ونصّه «فقلة الهمّ بما يهتم به الناس (ابن حزم، 2009م، 76)، وعليه فقد تبين لنا هنا: أن أصل الطلب وغايته في الفعل ترجع مركزيته لدى ابن حزم إلى طرد الهمّ عن النفس، لذلك نرى أن للهمّ في فكر ابن حزم معنىً واحدًا، فهذا الاهتمام الذي يظهر في صورة فعل لا يظهر تلقائيًا من النفس نحو الطلب، إنما هو في حد ذاته متولد من طرد الهمّ الموجود في النفس، لأن الفعل لا يظهر منها إلا عن طريقه أي طرد الهمّ، وإزاحته.

ومن ثم يمكن القول: أن المقصد الأساسي من مفهوم طرد الهمّ وإزاحته أمام فعل النفس هو الأصل، والغاية في حركة الفعل الإنساني، ولعل هذا يبيّن المقصد من تفسير الهمّ بأنه مبدأ الإرادة، وذلك بدوره يقودنا إلى إيضاح الخلط الذي يقع في الذهن بأن: طرد الهمّ هو الحزن، ففي حالة عجز المرء عن إيجاد مطلب لطرده وإزاحته، هنا يتحول إلى حزن، لأن ابن حزم يرى أن المطالب ليست عند الحصول عليها تجلب لنا السعادة أو السرور، والعكس بالعكس تمامًا، وإنما الحقيقة من ذلك ترجع عنده إلى طرد الهمّ الموجود في النفس، وبذلك نستنتج أن الحزن ظاهرة ناتجة عن الهمّ، ولعل ذلك ما يوضح المغزى من تعريف الحزن بأنه: «عبارة عما يحصل لوقوع مكروه أو فوت محبوب في الماضي» (الجرجاني، 2005م، 62)، ومع أنه ألم نفسي إلا أنه عارض ينتج من فوت المطلوب (المحبوب)، وفقد المحبوبات. ومما يؤكد أن مفهوم الهمّ له جذور فلسفية ونفسية عميقة تجعله يختلف عن مفهوميّ الحزن والسعادة، هو أنه لم يعرف بضده' حيث لم أجد في قواميس اللغة العربية، ولا في المعاجم الفلسفية ضدًا للهمّ خلافًا لما هو موجود من ضد للسعادة، ولكن في نظرنا الراحة ضد للهمّ، فالراحة: هي الإحساس بالبُعد عن هموم الدنيا الزائلة والتفكير فيها، مثل: ما عرف عن الحزن بضد السرور، وعرفت السعادة بضد الشقاوة، وبالتالي يمكن القول بأن مفهوم طرد الهمّ لدى ابن حزم يعد طاقة لها اتجاهان متضادان هما: الاتجاه الإيجابي: حينما يتجه، ويحصل المرء على الطلب الذي هو وسيلة لطرح الهمّ عن نفسه، نعني الأصل والغاية من الفعل، وهنا يشعر المرء بالسعادة، السرور أو البهجة، لأنه حقق ما يريد، أي طرد الهمّ عن نفسه.

أما الاتجاه السلبي: فيتمثل في وجود صعوبة، وهي عدم المقدرة على إيجاد وسيلة لإزاحته عن النفس، ومن ثم يصبح الهمّ بمثابة عائق للفعل الخلقي الإنساني لأنه لا يظهر الفعل إلا عن طريقه، أي بطرده عن النفس، ومن هنا يشعر المرء بالآلام النفسية من بينها ألم الحزن والهمّ، كما يتبادر إلى ذهننا اعتراض قوي على ما ذهب إليه ابن حزم يتمثل في السؤال الآتي: هل العمل لله هو الطريق الوحيد لطرد الهمّ عن النفس وجلب السعادة، والغبطة؟ وهل العمل لله سبحانه وتعالى يخلو من الهموم والعوائق؟ فكيف يكون العمل لله سبحانه وتعالى طارداً للهمّ، مع كل هذه الهموم التي تكتنفه؟.

ويُجيبنا ابن حزم مقررًا أن الإنسان لا يخلو من الهموم سواء عمل لله تعالى أو لغيره، ولكن العمل لله سبحانه وتعالى يهش للهموم التي تعترضه، ويسر بها إذ رجاؤه في عاقبة ما ينال عون له على ما يطلب وزايد في الفرض الذي إليه يقصد، لذلك فهو في سُرور متصل أبدًا، وغيره بخلاف ذلك أبدًا، يقول ابن حزم: «ووجدت العمل للآخرة سالمًا من كل عيب خالصًا من كل كدر– موصلًا إلى طرد الهمّ على الحقيقة– ووجدت العامل للآخرة إن امتحن بمكروه في تلك السُبيل لم يهتم بل يُسر، إذ رجاؤه في عاقبة ما يُنال به عون له على ما يطلب، وزايد في الغرض الذي إياه يقصد ووجدته إن عاقهُ عما هو بسبيله عائقٌ لم يهتم، إذ ليس مؤاخذًا بذلك، فهو غير مؤثر فيما يطلب، ورأيته إن قصد بالذي سُر، وإن نكبته نكبة سُر، وإن تعب فيما سلك فيه سُر، فهو في سُرور متصل أبدًا، وغيره بخلاف ذلك أبدًا» (ابن حزم، 2009م، ص79) و (الغزالي، ميزان العمل،2003م، 392)، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له}، (صحيح مسلم، 2003م، رقم (6999) 121/17)، وبذلك فإن «العمل للآخرة عقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل، أما العاجل فقلة الهمّ بما يهتم به الناس، وإنك به معظم من العدو والصديق، وأما الآجل فالجنة» (ابن حزم، 2009م، 75–76).

النتائج والمناقشة: بعد خوضنا في منازل السعادة عند الغزالي، وبعد ما حاولنا الاقتراب من هذا العنوان الذي أراه مهمًا في حياة الانسان – أي إنسان– باعتباره كائنًا أخلاقيًا بجدارة، خلصنا إلى أن هذا الجانب رفع للإنسان عن مستوى البهيمية، وفي الختام حاولنا الاقتراب من أهم النتائج وهي:

1- أثبتت الدراسة أن موضوع السعادة من أهم الموضوعات المتصلة بالنفس الإنسانية وخصوصًا بعد ماحل بنا من ابتلاءات من عند الله ومن انفسنا وأخرها ما حصل في درنة الجريحة ولهذا اهتممنا بهذه الدراسة لإخراج الناس من حالة الحزن التي ألمت بهم.

2- إن الغزالي كغيره من فلاسفة الإسلام تكلم عن السعادتين الدنيوية والأخروية، واهتم بالسعادة في الحياة الأخروية أكثر، مع عدم إهمال السعادة الدنيوية على اعتبار أن الشريعة أوضحت السعادة الأخروية ومثلت لها خير تمثيل، وهذا هو الجانب الغامض الذي يتمثل في السعادة الروحية في الآخرة وجعلوها الأفضل، ولذا فعلى الإنسان أن يعمل لآخرته ليلقى السعادة التامة الدائمة التي لا همّ ولا غمّ فيها.

1- أثبتت هذه الدراسة أن السعادة هي ممارسة الفضائل، والتحلي بالأخلاق الفاضلة حيث إن أكرم الفضائل، وأحسن الشمائل، خُلق يتحلى الإنسان به ليعلو به عن مراتب الحيوان، ويحقق سعادته، ولكي نعيش سعداء لابد من أن نتعهد في أنفسنا الفضيلة.

2- إن كلًّا من ابن حزم والغزالي أقرا بأن: السعادة الأخروية هي السعادة الحقيقية، وهي الجديرة بالسعي والعمل لها، ولا ينبغي للإنسان أن يصاب بالهمّ والغمّ إذا حرم من نعم الدنيا، لأن الله سبحانه وتعالى سيعوضه في الدنيا بنعم أخرى وفي الآخرة بالجنة، وأن هذه السعادة موقوفة على أسباب أهمها الإيمان بالله وتوحيده، ثم العمل الصالح، وكذلك بأسبابها التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

3- إن التوجه إلى الله سبحانه وتعالى والتخلق بالأخلاق الفاضلة وتصفية الباطن لا تكون إلا بتهذيب النفس وتزكيتها لتكون خاضعة للقوة العقلية. وإن مجاهدة النفس أمر دعا الإسلام إليه، لأنه بها يصل الإنسان إلى رضا المولى سبحانه وتعالى ويحقق معنى العبودية، ومن ثَم تتحقق السعادة له.

4- إن الفضيلة التامة تكمن في استكمال النفس قوتها النظرية بتصور الأمور تصوراً كاملاً والتصديق بالأشياء تصديقاً مطابقاً لحقائقها، وفي قوتها العلمية باكتساب الملكة التامة على الأفعال المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط بحسب الطاقة البشرية، وبناءً على ذلك تكون السعادة في مراتب ثلاث: أعلاها النفسانية، ثم تليها البدنية، ثم السعادات الخارجية، كما أن السعادة الدنيوية القصوى تتمثل في معرفة الله سبحانه وتعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته، وإن السعادة الأخروية أتم وأكمل من السعادة الدنيوية.

5- إن للسعادة القصوى ومنازلها وسائل لا تنال إلا بها، تتمثل في تحصيل المعارف الربانية والتخلق بالأخلاق الفاضلة، والمداومة عليها وعلى ذكر الله سبحانه وتعالى والانقطاع عن الأخلاق المذمومة والرذائل.

6- أثبتت الدراسة أننا بحرصنا على اتباع المبادئ الأخلاقية نعيش العيشة الطبيعية التي من شأنها أن تضمن لنا الطمأنينة والحياة السعيدة، وأن علينا أن نحسن سلوكنا وأخلاقية أفكارنا فيما يجعلنا جديرين باحترام الآخرين، وراحة الضمير والسعادة التي نحلم بها وإننا ننالها باستقامتنا، وعفتنا ونزاهتنا، وعفونا وحِلمنا نجني قدرًا من السعادة أكثر مما ينال مَنْ زلت به القدم، وضل الطريق وانجرف منهمكًا في اللذات.

7- أثبتت الدراسة أن الضمير الإنساني خير دليل على السعادة، والصفاء الروحي والهدوء النفسي، والواقع أن البشر ينشدون السعادة حتى إذا لم يعرفوا ما عسى أن تكون تلك السعادة، وقد قال بعض الفلاسفة اليونانيين من أمثال أفلاطون وأرسطو: إن السعادة هي الخير الأسمى أو الخير المطلق، وكانوا يعدون اللذة جزئية، في حين كانوا ينظرون إلى السعادة على أنها كلية.

8- اتفق الغزالي مع ابن حزم في أن السعادة وطريق الحصول عليها واحد هو العمل للآخرة والنية الطيبة، مع اختلاف المسميات حيث اسماها الغزالي السعادة الأخروية، وعند ابن حزم طرد الهمّ.

9- اتفق الغزالي مع ابن حزم على أن غاية العمل الخلقي هي معرفة الله سبحانه وتعالى، وانهما متفقان على أن السعادة مرتبطة بالفضيلة والخلق الحميد.

10- السعادة غاية منشودة عند كل البشر عند الغزالي، وطرد الهمّ غاية لكل البشر، وأن السعادة وطرد الهمّ أمر يستوي فيه الناس جميعًا.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- **كُتب** السّنة النبوية.
- البخاري، صحيح البخاري، (1989م)، ط3، تحقيق/مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، المنامة، السعودية.
- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (2003م)، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

المصادر:

- الأندلسي ابن حزم، الأخلاق والسير، (2009م)، ط3، تحقيق/ إيفا رياض، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- الأندلسي ابن حزم، طوق الحمامة، (2004م)، ط1، تحقيق/الدكتور محمد يوسف الشيخ محمد، غريد يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الأندلسي ابن حزم، الفصل، (2003م) ،ط2، تحقيق/الدكتور أحمد السيد أحمد العلي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، سنة.
- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (1970م) ، ط1، تحقيق/ د. محمد سالم محيسن، وشعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الجوزيه ابن قيم، مفتاح دار السعادة، (2004م) ،ط1، تحقيق/ سيد عمران وعلي محمد، دار الحديث، القاهرة.
- الجوزيه ابن قيم، مدارج السالكين، (2001م) ،ط1، تحقيق/رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر.
- الجوزيه ابن قيم، إغاثة اللهفان(1972م) ، ط2، تحقيق/ محمد السيد الكيلاني، مكتبة دار التراث، الفاخرة مصر.
- ابن منظور، (1992م) ، ط2، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- البغدادي أبو البركات، (1357هـ) ، ط1، المعتبر في الحكمة، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، الهند.
- الغزالي أبو حامد، كيمياء السعادة، (2009م) ، ط1، تحقيق/ أبو سهل، نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، مصر.
- الغزالي أبو حامد، ميزان العمل، (2003م) ، ط2، تحقيق/ سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، (2007م) ، ط5، دار السلام، القاهرة مصر.
- الغزالي أبو حامد، معارج القدس في معرفة النفس، (2002م) ، ط1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
- الغزالي أبو حامد، ميزان العمل، (2003م) ، ط1، تحقيق/ سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة مصر.
- الغزالي أبو حامد، رسالة الأدب في الدين، (2010م) ، ط2، ضمن مجموعة رسائل الغزالي الفلسفية، دار الفكر، بيروت لبنان.
- الغزالي أبو حامد، رسالة في نفي الغمّ، (2003م) ، ط1، ضمن كتاب ميزان العمل، تحقيق/ سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة مصر.
- الغزالي أبو حامد، روضة الطالبين، (2010م) ، ط2، ضمن مجموعة رسائل الغزالي الفلسفية، دار الفكر، بيروت لبنان.

– الغزالي أبو حامد، رسالة مشكاة الأنوار، (2010م) ، ط2، ضمن مجموعة رسائل الغزالي الفلسفية، دار الفكر، بيروت لبنان.
– صبحي أحمد محمود، (1983م) ، ط2، الفلسفة الأخلاقية، دار المعارف، القاهرة، مصر.
– مطر أميرة حلمي، (1986م) ، ط3، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة.
– كريسون اندريه، (1946م) ، ط1 ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة/عبد الحليم محمود، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.
– رسل برتراند، (1980م) ، ط1، الفوز بالسعادة، ترجمة/ سمير عبدة، مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
– الجرجاني، (2005م) ، ط1، التعريفات، دار الفكر العربي، بيروت لبنان.
– صليبا جميل، (1994م) ، ط1 المعجم الفلسفي، العالمية للكتاب، بيروت، لبنان.
– الأصفهاني الراغب، (1988م) ، ط1، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق/أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت لبنان.
– منصور رفعت سيد علي، (1992م) ، العدل الإنساني عند فلاسفة المشرق الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة عين شمس.
– مبارك زكي، (1988م) ، ط1، الغزالي، دار الجيل، بيروت لبنان.
– مراد سعد ، (2001م) ، ط1، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة مصر.
– محمد صابر، (1991م)، القيم الخُلقية عند ابن قيم الجوزية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة، جامعة القاهرة، .
– خلف عادل، (2010م) ، ط2، المشكلة الخُلقية، مطبعة أم القرى، القاهرة.
– الشمالي عبده، (1979م) ، ط5، دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار صادر، بيروت لبنان.
– محمود عبد الحليم، (د–ت) ، ط1، التصوف عند ابن سينا، مكتبة العروبة، القاهرة مصر.
– بدوي عبد الرحمن، (1984م) ، ط2، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للنشر.
– ملحم علي(1994م) ، ط1، الفلسفة العربية مشكلات وحلول، منشورات عزالدين، بيروت لبنان.
– كارادفو، (1959م) ، ط1، الغزالي، تحقيق/عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، نابلس فلسطين.
– محمود كامل(1991م) ، ط2، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان.
– مجمع اللغة العربية، (1983م) ، ط1، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
– عبد القادر محمد أحمد، (2005م) ، ط1، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، السويس.
– ربيع محمد شحاته، (1995م) ،ط2، التراث النفسي عند علماء المسلمين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
– عبد الستار محمد، (1982م) ، ط1، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم، الكويت.
– الصباغ محمد عبد الهادي، (1986م) ، السعادة عند الفلاسفة المسلمين، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الفلسفة.
– النجيحي محمد لبيب، (1967م) ، ط2، مقدمة في فلسفة التربية، مكتبة الأنجلو، القاهرة مصر.

- موسى محمد يوسف، (1945م) ، ط2، فلسفة الأخلاق في الإسلام، مطبعة الرسالة.
- عطا الله مختار، (2012م) ، ط1 ، في الفلسفة الإسلامية، دار الهاني، القاهرة.
- وهبة مراد، (1979م) ، ط3، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.
- عبده مصطفى، (1999م) ، ط2، فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
- الموسوي موسى، (2004م) ، ط1، من الكندي إلى ابن رشد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.
- التكريتي ناجي، (1982م)، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية، ط2، دار الأندلس، بيروت لبنان.
- إسماعيل نازلي، (1978م)، فلسفة القيم، ط1، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، مصر.

Homes of happiness according AL-Ghazali

Noureddine Ashour Ahmed Aldoukali

Al Asmarya Islamic Univeresity -ZLiten

Abstract:

Happiness has a close relationship with the soul and with morals. Therefore, it is closely linked to the human being during his life and after his death, Happiness is an important axis of moral philosophy because it expresses the bitterness of life that man lives at this time, although he has kept pace with civilization and invented many things that concern his well-being and happiness. Just as Al-Ghazali calls happiness several names, it is pleasure and joy, as the happiness of everything, its pleasure, and its comfort according to its nature, and the nature of everything is what it was created for. and accordingly happiness has many stages as todays human being with this uninterrupted progress we find the human being afflicted with worries and sorrows on every side, and pain with the increase in the requirements of life Is happiness difficult to obtain with this reality?. How can a person graduate in the stages of happiness?

Likewise, the supreme goal of the human soul is happiness, in the afterlife, which is survival without annihilation, and it is one of the blessings of God, Glory be to Him.

Keywords: Happiness – Pleasure – Excessive - Mujahid – The means.